

كباير الذنوب وصغائرها في القرآن



قسّم القرآن الكريم الذنوب إلى قسمين: كباير وصغائر، وقد جاء هذا التقسيم في العديد من الآيات، منها هذه الآية: لأنّ المراد من (سيئاتكم) في قوله تعالى: (نُكْفِرُكُمْ عَنْدَكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) (النساء/ 31)، المراد منها ما عدا الكباير باتفاق المفسرين، والمعنى من اجتنب كباير الذنوب محونا عنه صغائرها.

ومنها قوله تعالى في الآية 32 النجم: (الذّينَ يَجْتَدِيُونَ كَذِبًا ثِرًا إِثْمًا وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّامَمَ)، واللم هي الصغائر.

ومنها قوله سبحانه في الآية 49 الكهف: (لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا).

ومنها الآية 7 من سورة الحجرات: (وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)، وهي صريحة في أنّ المنهيات أقسام ثلاثة: الكفر، وهو الجحود والإنكار، والفسوق وهو اقتراف الكباير، والعصيان وهو الصغائر.

وبهذا يتبين معنا أنّ قول من قال: كلّ الذنوب كباير، ولا صغائر فيها، لأنّ معصية الله في شيء كبير، مهما كان ذلك الشيء، إنّ هذا القول مخالف، لظاهر القرآن، بالإضافة إلى أنّ الشرائع الوضعية تقسّم الجريمة إلى جنحة وجناية، أجل يمكن نفي الصغائر.

ومهما يكن، فإنّ الكتاب العزيز لم يضع حدًّا فاصلاً بين الكبيرة والصغيرة، ولذا اختلف الفقهاء في معنى الكبيرة، فذهب جماعة إلى أنّ كلّ ما جاء في القرآن مقروناً بذكر الوعيد فهو كبيرة، وما عداه صغيرة، وخير الأقوال قول من قال: إنّ الذنوب جميعاً في نفسها كباير، كما قال من نفي الصغائر من الأساس، وإنّما تقسّم الذنوب إلى كباير وصغائر بمقارنة بعضها إلى بعض، مثلاً، النظر إلى الأجنبية بريبة ذنب كبير في نفسه صغير بالنسبة إلى القبلة، والقبلة صغيرة بالنسبة إلى الجنس، وكذا الأكل على مائدة عليها خمر كبير في نفسه، صغير بالقياس إلى شرب الخمر.

وتجدر الإشارة إلى أن للذات الفاعل وسوابقه وظروفه ودوافعه تأثيراً بالغاً في جعل الذنب كبيراً أو صغيراً على حد تعبير الفقهاء، وجناية أو جنحة على حد تعبير المشرعين الجدد، فعلى أن نضفي على الذنب صفة الشدة أو الضعف أن ننظر إلى الفاعل، هل فعل لعدم فطنته وضعف إرادته، كما لو لبس عليه غاو أثيم، أو فعله لحاجة ماسة، أو لأزمه مولع بالإساءة إلى الناس، كما هو شأن الكثيرين.

وقد تواتر عن الرسول (ص) أنَّهُ قال: "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار".

وعن الإمام الصادق (ع): "إنما خلد أهل النار في النار، لأن نياتهم كانت في الدنيا أن يعصوا الله أبداً لو خلدوا فيها، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة، لأن نياتهم أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء".

وقال الشيخ مغنية رحمه الله: "وبسطنا القول في تأثير النية عند تفسير الآية 144 من سورة آل عمران "لكل امرئ ما نوى".

وقال رحمه الله: "ومن المفيد أن نذكر خبراً عن الإمام الصادق (ع) يعدد فيه أنواع الكبائر".

روي أن عمرو بن عبيد دخل على الإمام، وسأله عن الكبائر في كتاب الله فقال: "إن أكبر الكبائر الشرك بالله، لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) (النساء/ 48)، وقال: (مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) (المائدة/ 72)".

وبعد اليأس من روح الله، لأن الله يقول: (لا يهديئس من روح الله إلا القوم الكافرين) (يوسف/ 87).

ثم الأمن من مكر الله، لأن الله يقول: (فلا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون) (الأعراف/ 99).

ومنها عقوق الوالدين، لأن الله تعالى جعل العاق جباراً شقيماً في قوله: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ إِذَا بَلَغَ الْهُدَىٰ) (النساء/ 32).

ومنها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، لأن الله تعالى يقول: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مْتَعَمِدًا فَقَدْ جَزَأَهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا) (النساء/ 93).

وقذف المحصنات، لأن الله يقول: (إِنَّ السَّادِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْأُمُومَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النور/ 23).

وأكل مال اليتيم، لقوله سبحانه: (إِنَّ السَّادِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا) (النساء/ 10).

والفرار من الزحف لأن الله يقول: (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّرًا فَاسًّا لِقَيْتَالٍ أَوْ مُتَحَدِّثًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ) (الأنفال/ 16).

وأكل الربا، لقوله سبحانه: (السَّادِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ السَّادِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة/ 275)، وقوله: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (البقرة/ 279).

والسحر لأن الله يقول: "ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق".

والزنى، لأنَّ اِ يقول: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) (الفرقان/ 68-69).

واليمين الغموس[1]، لأنَّ اِ يقول: (إِنَّ السَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِهِمْ السَّلَـةَ وَأَيُّمَانِهِمْ ذَمًّا وَقَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ) (آل عمران/ 77).

والغلول[2]، قال تعالى: (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (آل عمران/ 161).

ومنع الزكاة، لقوله جلَّ وعزَّ: (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَسَطُحُورُهُمْ) (التوبة/ 35).

وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، لأنَّ اِ يقول: (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فإِنَّه آثِمٌ قَلْبُهُ) (البقرة/ 283).

وشرب الخمر، لأنَّ اِ عدل بها عبادة الأوثان.

وترك الصلاة متعمداً، أو شيئاً مما فرض اِ، لأن رسول اِ (ص) يقول: "من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة اِ، وذمة رسوله، ونقض العهد".

وقطيعة الرحم، لأنَّ اِ يقول: (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد/ 25).

فخرج عمرو بن عبيد وله صراخ من بكائه، وهو يقول: "هلك من قال برأيه، ونازعكم في الفضل والعلم يا أهل البيت".

المصدر: كتاب دروس من القرآن

[1]- اليمين الغموس هي الكاذبة التي تغمس صاحبها في النار.

[2]- الغلول ذو الحقد والغش.